مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثاني ــ المجلد الواحد والستون

١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م

شبكة كتب
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

اللغة العربية وتحديات العولمة (*)

الدكتور أحمد مطلوب
رئيس المجمع العلمي

الملخص :

لا يستطيع الانسان المعاصر أن يتابع الحركات التي تظهر بين حين وآخر ، ففي مطلع كل عقد من الزمان تظهر حركة تدعو الى اتجاه معين يخدم مصالح الداعين اليه ، ومن تلك الحركات (العولمة) التي دعت في أول أمرها الى توحيد الاقتصاد العالمي وإنشاء شركات متعددة الجنسية ، ثم التفتت الى الثقافة وما يتصل بها من لغة ، لتجعل العالم يدور في ثقافة مرسومة ولغة معلومة تحقق أهداف القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .

وهذه الورقة تلقي الضوء على العولمة وتحدياتها لغة القرآن الكريم ، ومخاطرها على الثقافة العربية ، ورأيت إعادة نشرها لأن خطرها لا يزال يهدد ، وان بعضهم ما يزال بها مخدوعا .

(*) ألقي ونوقش في مجمع اللغة العربية في القاهرة يوم السبت ٢٩/٣/ ٢٠١٤م – ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ .

(١)

تظهر بين حين وآخر دعوات في ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، فمن دعوة الى اللهجات المحكية وتغيير الحرف العربي ، ودعوة الى الشرق أوسطية واندماج العرب ، بغيرهم ، ودعوة الى ثقافة حوض البحر الابيض المتوسط ، وغير ذلك من الدعوات التي تسعى الى إذابة الامة العربية وعقيدتها ولغتها في أتون الدول الداعية الى مثل ذلك لتستحوذ على مواردها الطبيعية ، وتعطل طاقتها الانتاجية والابداعية ، وتمحق حضارتها ، وتزعزع لغتها التي نزل بها القرآن الكريم على النبي العربي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وتذّر العولمة اليوم بقرنيها في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، فرحب بها قوم وروّجوا لها ، ونأى عنها قوم وكشفوا زيفها ومراميها .

(٢)

لقد تفاوت الباحثون في تسمياتها فسماها بعضهم ((العولمة)) وهي ترجمة globalization وسماها بعضهم ((الكوكبة)) و ((الكونية)) لتنال القبول بعد أن مقتها المؤمنون بعقيدتهم السمحة وأمتهم الخالدة .

ولا يخفى ما وراء العولمة من أهداف خططت لها الرأسمالية العالمية والصهيونية ، ورسمت معالمها ، وهي خطوات يُفضي بعضها الى بعض حتى اذا ما اكتملت الخطوات ضاقت الحلقة وأصبحت طوقا لا يمكن تحطيمه إلا بشِقّ الأنفس والنضال المرير .

لقد طرحت العولمة أول ما طرحت القضايا الاقتصادية.لما للاقتصاد في حياة الشعوب من أهمية بالغة وأثر كبير ، ولا سيما الدول النامية التي يرزح معظمها تحت نير الفقر والحرمان .

ودعت الى اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات والقوى العاملة ، وتأسيس الشركات الكبرى المتعددة الجنسية لتحكم قبضتها على التجارة العالمية ، وتعلي شأن الاقتصاد الدولي الذي يمكن أن يقوم بالتعاون بين الدول على أساس المصالح المشتركة ، لا الدمج الذي يسلب الدولة خططها التنموية ومشاريعها الاستثمارية .

ورحَّب بعض أصحاب المال في الوطن العربي بها ، وظنوا أن أرباحهم ستزيد وأن شركاتهم ستتسع ، ونسوا أن اندماجهم هذا يفقدهم حريتهم وقد يؤدي بهم الى الافلاس اذا ما تركوا مقاليد أمورهم للشركات الرأسمالية التي هي كالسمكة الكبيرة التي تبتلع الاسماك الصغيرة ، ومن قبل قال الشاعر :

إن مَنْ كان ضعيفا أكلتـه الأقويـاء

وتبنت العولمة شعار ((الانسانية)) و((الاسرة العالمية الواحدة)) لقيام مجتمع جديد تذوب فيه الفوارق القومية والوطنية والدينية أي جعل العالم واحدا لتسود فيه العدالة والمساواة والإخاء . وظن بعضهم أن هذا لن يتحقق إلا في ظل ((العولمة)) مع أن الديانات السماوية والقوانين الوضعية أكدت هذا الجانب وجعلت المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات .

لقد كَرَّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الانسان وقال : ((ولقد كَرَّمنا بني آدمَ وحَمَلْناهم في البرّ والبحْرِ ورزقناهم من الطَّيباتِ وفضَّلْناهم على كثيرٍ ممَنْ خلقْنا تَفضيلا)) (الاسراء ٧٠) .

وجعل الانسان خليفةً في الارض ليحيا حياة حرة كريمة فقال عَزَّ مِنْ قائل : ((يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائِلَ لتعارَفوا إن أكرَمكُم عند الله أتقاكم)) (الحجرات ١٣) ، ولم يجعلهم شعبا واحدا لئلا تتعطل القدرات وتتحكم فيهم قوى العدوان ، وتعسف الحكام .

من هنا كانت البداية وهي بداية تُفضي الى خطوات أخرى :

اولا : سيطرة القطب الواحد على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

ثانيا : القضاء على الوطنية والقومية ، لأن دعاة العولمة يريدون مجتمعا موحدا تكون السيطرة لهم عليه ، ومعنى هذا أن الدولة التي تتبنى العولمة تفقد سيادتها ، وتكون تابعا يدور في فلك الرأسمالية العالمية وشركاتها الاحتكارية . وتذوب الشخصية القومية في الأممية التيْ نادت بها الشيوعية من قبل ، وما دعت اليه الماسونية من الانسانية والإخاء .

ثالثا : مسخ الثقافات القومية وسيطرة ثقافة العولمة ، وبذلك تفقد الأمة هويتها الثقافية التي تنبع من واقعها ، على أن تنتفع بالثقافات الاخرى التي لاتتقاطع مع ثقافتها وتوجهاتها الفكرية ، لتظل أمة متميزة كما تميزت في ظل الاسلام .

رابعا : السيطرة على وسائل الاعلام والترويج للعولمة ، وقد نشطت الفضائيات في السنوات الاخيرة نشاطا كبيرا لشرح العولمة وما تجنيه الشعوب منها اقتصاديا وثقافيا وعلميا .

ولا يعنى التصدي للعولمة الانغلاق على ثقافات الامم والشعوب الاخرى ، لأن العولمة شيء والعالمية شيء آخر ، كما لا ينفي تعزيز الحوار بين الحضارات .

ان العولمة تهدد العرب والمسلمين ، حين تدعو الى الغاء الكيانات القومية والوطنية ، ومحو خصوصيات الامم والشعوب وشل طاقات الابداع وتعطيل القدرات العلمية لتظل الشعوب تحت سيطرتها تستهلك منتوجاتها بعد أن تغرق الاسواق ببضائع الشركات الكبرى التي لا تنافسها الصناعات الوطنية .

وتحقق ذلك بنشر الثقافة التي تمهد السبيل بوسائل اعلامها المختلفة ولا سيما القنوات الفضائية التي أخذت تدخل البيوت .

ان الثقافة مهمة ولكن الثقافة التي تروج لها العولمة ليست ما يضمن استقلال الشعوب الثقافي ، وانما ما يحقق أهدافها وتتبع في ذلك وسائل منها:

أولا : نشر الثقافة الموجهة لخدمة العولمة .

ثانيا : التشكيك بالثقافات القومية والوطنية ووصفها بالتخلف .

ثالثا : التشكيك بالعقيدة الدينية والدعوة الى وحدة الأديان ليعيش العالم في أمن وسلام .

رابعا : تشويه التقاليد والأعراف الاجتماعية ونشر أعراف في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب .

خامسا : التشكيك بقدرة اللغات القومية والوطنية وانكار دورها في استيعاب الحضارة الجديدة والتقدم العلمي الحديث .

سادسا : نشر اللغة الاجنبية بتقديم الجوائز وتكريم الناطقين بها لتحل محلَّ اللغات القومية .

سابعا : اشاعة العامية وجعلها لغة الآداب والعلوم والفنون لانها لغة الشعوب المنطوقة . وهذا ما حاوله المستشرقون منذ مطلع القرن العشرين أمثال : ولهم سبيتا ، وكارلو لندبرج (عمر السويدي) ، وكارل فولرس ، وولكوكس ، وسلدن ولمور ، وغيرهم من المنسوبين الى الارض العربية ، الذين قالوا ان الوطن العربي لن يتقدم ويزدهر ويلحق بالركب العالمي مادام يستعمل لغة القرآن الكريم ، والخير كل الخير في هجرها والأخذ بالعالمية .

ولم تُؤتِ هذه الدعوة ثمرتها لان المخلصين من العرب والمسلمين وقفوا بوجه هذا التيار المريب وسقط القناع عن الوجوه الحاقدة ، ولم تصب القرآن الكريم ولغته المعجزة بشيء ، لأنه كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ ((إنا نحن نَزَّلنَا الذِّكْرَ ، وإنا له لحافظون)) (الحجر ٩) .

(٣)

ولكن هل انتهت الحملة الظالمة على لغة الذكر الحكيم ؟ إن أعداء الأمة ما يزالون يتربصون بها الدوائر ، ولا يزال الذين في قلوبهم مرض يتحينون الفرص للقضاء على اللغة التي وحدت العرب وجمعت المسلمين على الخير والهدى وهم يقرأون القرآن الكريم صباح مساء .

وجاءت الفرصة في الاعوام الاخيرة ، واذا بدعاة العولمة ينادون في كل واد ، واذا بهم يزينونها ويسيرون بخطى متتابعة بدأت بالاقتصاد والسياسة وثنّت بما يتبعها من ثقافة وعاؤها اللغة ، وقالوا ان الثقافة التي يدعون اليها لن تثمر اذا عبر عنها بالعربية ، لانها لغة ثقافة تخطاها العصر .

وصدَّق هذا المخدوعون بسياسة القطب الواحد وأيدوه أما الذين ((صدقوا ما عاهدوا الله عليه)) فلن يلينوا ، وسيظلون سدا منيعا يصد تحديات العولمة وهم معتصمون بحبل الله وكتابه العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين ، وكان معجزة كبرى تحدى الله به الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ان الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتنميتها لتستوعب المستجدات واجب كل عربي ومسلم ، ولا يكفي الاعتزاز بها فحسب ، وانما لابد من عمل مثمر متواصل ، ويتم ذلك بوسائل منها :

أولا : نشر الوعي اللغوي بوسائل الاعلام المختلفة ، وطبع الكتب والكراسات التي تبرز منزلة اللغة العربية وموقعها بين لغات العالم ، وأثرها في وحدة العرب وجمع المؤمنين .

ثانيا : اعادة النظر في مناهج تدريسها وتطبيق الطرائق الحديثة في تأليف الكتب وتدريسها .

ثالثا : تعريب التعليم في جميع مراحله ، لأن تلقي العلم باللغة الأم غير تلقيه بلغة أجنبية .

رابعا : مشاركة المجامع العربية واتحادها مشاركة فعالة في العناية باللغة العربية وتوحيد المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية .

خامسا : عقد المؤتمرات القومية والقطرية للوقوف على مسيرة تدريس اللغة العربية ، وتقديم المقترحات التي تحقق ازدهار العربية لتواكب العصر ، وتستوعب المستجدات .

سادسا : اصدار تشريع يصون اللغة العربية كما فعل العراق حينما أصدر سنة ١٩٧٧ ((قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية)) الذي ألزم ((الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية ، وشبه الرسمية ، والمؤسسات ، والمصالح ، والشركات العامة ، وكذالك الجمعيات ، والنقابات ، والمنظمات الشعبية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية ، واعتمادها في وثائقها ، ومعاملاتها ، وكذلك بجعل اللغة العربية وافية بأغراضها القومية والحضارية)) .

ويتجلى ذلك في :

أولا : التدريس باللغة العربية .

ثانيا : العناية بلغة الكتب ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات .

ثالثا : الابتعاد عن العامية في الكتابة ، والسعي الى تقريبها من العربية الفصيحة .

رابعا : أن يحرر باللغة العربية :

١- الوثائق ، والمذكرات ، والمكاتبات ، وغيرها من المحررات التي تقدم الى الدوائر الرسمية ، وشبه الرسمية .

٢- السجلات ، والمحاضر ، وغيرها من المحررات التي يكون لممثلي الحكومة ، والمؤسسات الاطلاع عليها ، وتفتيشها .

٣- العقود ، والايصالات ، والمكاتبات المتبادلة بين المؤسسات ، أو الجمعيات ، أو الشركات العامة ، أو بينها وبين الافراد .

٤- اللافتات التي تضعها المؤسسات ، والمنظمات ، والجمعيات ، والمحلات التجارية أو الصناعية على واجهات محالها .

خامسا : كتابة البيانات التجارية المتعلقة بأي سلعة تم انتاجها بالقطر العراقي بالعربية .

سادسا : تجنب استعمال المصطلحات الاجنبية إلا عند الضرورة ، ونص القانون - فيما يخص هذه الفقرة - على أن المجمع العلمي هو ((المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الاجهزة المعنية الرجوع اليه بشأنها)) .

ولتنفيذ القانون صدر سنة ١٩٨٣م ((قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية)) الذي نص على أن الهيئة تسعى الى تحقيق ما يأتي :

أولا : العناية باللغة العربية من جميع الوجوه بوصفها اللغة القومية للأمة العربية التي هي في مقدمة اللغات المستقلة الحية المتطورة المنتشرة على النطاق العالمي .

ثانيا : تيسير استعمال اللغة العربية لتعميم الاستفادة منها في الاغراض كافة ، وفي الشؤون العلمية بوجه خاص .

ثالثا : المحافظة على أصالة اللغة العربية ، وجوهرها ، وسلامتها من الاخطاء ، وخلوها من الألفاظ العامية والاجنبية .

وشرعت الوزارات ، والمؤسسات الثقافية ، والمراكز العلمية ، ووسائل الاعلام بتنفيذ القانون ، وبدأت الالفاظ الاجنبية ، والعلامات الصناعية ، والاسماء التجارية ، وأسماء الشركات والمحال تتغير ، وأخذ أصحاب المصالح يراجعون المجمع العلمي لاستحصال الموافقات على الاسماء والألفاظ التي يرغبون في استعمالها ، لأن الدوائر المختصة بشؤون قضاياهم لا تعطيهم اجازة إلا بعد موافقته الرسمية . وهذا ما يبشر بالخير ، حيث الوعي بأهمية اللغة العربية يزداد يوما بعد يوم ، وحيث الاعتزاز بها ، لأنها رمز استقلال الامة ، والحفاظ على هويتها فضلا عن أنها لغة الكتاب العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين .

ان اصدار القوانين في الاقطار العربية للحفاظ على سلامة لغة الضاد ، وتشكيل هيئات قطرية تنفذ تلك القوانين لأمر ضروري في هذا الزمن الذي تتعرض فيه لغة القرآن الكريم ، للهجمات في السر والعلن ،

وآخرها (العولمة) التي تحاول الهيمنة على العالم وتمحو ثقافات الشعوب الوطنية ، وتُحجِّم لغاتها القومية للوصول الى سيطرة لغة القطب الواحد .

لقد أدرك العراق مخاطر دعوات التضليل ، ولذلك شَرَّع قانونا يحمي اللغة العربية التي تعد من اللغات العالمية على مستوى هيئة الامم ، وعلى مستوى شعوب العالم ، ولا سيما المسلمون الذين يقرأون بها كتابهم العزيز ، ويؤدون بها الصلاة ، ويتواصلون بالعالم العربي وما لديه من حضارة عريقة ، وثقافة أصيلة ، وايمان عميق بقَدَرِه ووجوده ، وهو يصارع الاستعمار والتبعية ، ويصد العدوان ، ويبني حاضرا مزدهرا ، ويستشرف مستقبلا ترفرف عليه راية الامن والسلام .

إن الامم والشعوب تناضل نضالا مشهودا للحفاظ على لغاتها الوطنية ، وهوياتها القومية ، واستقلالها الذي لا يتم إلا بلغتها التي يرتبط بها أبناؤها ارتباطا وثيقا ، لأن اللغة هي القومية ، والقومية هي اللغة التي تكسبها الوجود .

وما الفرنكفونية التي تنادي بها فرنسة إلا مثل واضح على أهمية اللغة التي هي وسيلة نشر ثقافتها ، وقد أصدرت القوانين التي تحافظ على سلامة الفرنسية ، والعناية بألفاظها ، وتعويض الكلمات الاجنبية بأخرى فرنسية في المجالات المختلفة ، وهي تسعى بكل الوسائل الى نشرها ، وتقيم المؤسسات والهيئات واللجان العليا للدفاع عنها ، ومن أبرزها ((المنظمة الدولية للفرنكفونية)) التي نشطت في السنوات الاخيرة نشاطا ملحوظا من خلال أمانتها العامة التي تعقد المؤتمرات ، ومنها المؤتمر الذي عقد في باريس في أيار ٢٠٠٠م وحضره ممثلون من عدة أقطار ، وقدمت فيه

دراسات رصدت ((واقع حضور الثقافة الناطقة بالفرنسية في العالم العربي ، والثقافة الناطقة بالعربية في العالم الفرنكفوني)) ، وتعرضت للوسائل ((الكفيلة بتعزيز حضور الثقافة العربية ونشرها في العالم الفرنكفوني ، والثقافة الناطقة بالفرنسية في العالم العربي)) وغير ذلك من الدراسات التي تعزز اللغة الفرنسية وثقافتها .

والخيركل الخير أن ينشئ العرب منظمة تُعنى باللغة العربية وتنشرها ، وهي اللغة التي نطقت بها ألسنة الملايين في مشارق الارض ومغاربها ، واستوعبت العلوم والآداب والفنون ، لما فيها من ألفاظ كثيرة ، وأساليب متنوعة ، وقدرة على النماء . وإذا كان الله – سبحانه وتعالى – قد حفظها في كتابه العزيز وقال : ((إن علينا جَمْعَهُ وقرآنَه)) (القيامة ١٧) فلا يعني التواكل ، لأنها ستظل مهددة من أعداء الله والامة ، كل عقد من الزمان تظهر بدعة ، وأحدثها ((العولمة)) التي تنفذ ما يخطط لها القطب الواحد . ولا يكفي أن تكون في (الوطن العربي) مجامع علمية ولغوية واتحاد يجمعها ، وإنما ينبغي أن تقوم ((منظمة دولية للغة العربية)) تضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وتنميتها ، ونشرها في العالم ، وأن يكون لها سلطان ونفوذ لتحقق أهدافها ، وبغير هذا لن يكون لها دور فاعل ، ولن يكتب لها النجاح في زمن كثرت فيه الاتجاهات ، وتصارعت الآراء ، وأصبح المؤمن بعقيدته وأمته كالقابض على الجمر في عالم يمور بكل عجيب غريب .